

تفريغ
السلسلة الصوتية

سِلْسِلَةُ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنَاجِيَتِ

الحلقات

(الأولى - الثانية - الثالثة)

الحلقة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ سِلْسِلَةٌ إِذَاعِيَّةٌ فِي بَيَانِ وَتَوْضِيحِ بَعْضِ مَسَائِلِ الْمَنْهَجِ وَالْعَقِيدَةِ، الَّتِي
وَقَعَ فِيهَا الْإِلْتِبَاسُ وَالِاشْتِبَاهُ عَلَى أَنْبَاءِنَا وَإِخْوَانِنَا مِنْ جُنُودِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ فِي دَاخِلِ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ وَخَارِجِهَا؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ التَّعْمِيمِ
الصَّادِرِ عَنِ اللَّجْنَةِ الْمُفَوَّضَةِ الْمُعَنُونَ لَهُ بِالْآيَةِ: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ
وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، الَّذِي تَمَّ إِيقَافُ وَتَعْطِيلُ الْعَمَلِ بِهِ؛ وَذَلِكَ لِمَا
تَضَمَّنَهُ مِنْ أَخْطَاءٍ عِلْمِيَّةٍ وَمَنْهَجِيَّةٍ وَعِبَارَاتٍ مُوْهَمَةٍ حَمَالَةٍ أَوْجُهُ، أَدَّتْ إِلَى
الْوُقُوعِ فِي التَّنَازُعِ وَالْإِخْتِلَافِ.

فَكَانَ لِرَآمًا عَلَيْنَا عَدَمُ تَأْخِيرِ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَاسْتَدَّتْ،
وَأَصْبَحَتْ ضَرُورَةً مُلِحَّةً؛ وَذَلِكَ لِجَمْعِ كَلِمَةِ الدَّوْلَةِ، وَتَأْلِيفِ قُلُوبِ
جُنُودِهَا عَلَى الْحَقِّ، وَإِفْرَاقِهِمْ لِمَصَدِّ عَادِيَةِ أَمَمِ الْكُفْرِ عَلَيْهَا، وَالذَّبِّ عَنْ بَيِّضَةِ
الْإِسْلَامِ وَحُرْمَاتِهِ.

تَفْرِيعُ سِلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْجِيَّةٍ

وَقَدْ حَدَّثَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ أَيُّمَا تَحْذِيرٍ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

وَفِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ أَمَرَنَا بِالْجَمَاعَةِ وَعَظَّمَ شَأْنَهَا..

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ»، وَقَالَ ﷺ: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»، وَقَالَ ﷺ: «وَأَيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ».

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، قَالَ ﷺ: «وَأَنَا أَمُرُّكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ وَالْهَجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ».

وَأَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ وَالِاخْتِلَافِ وَالتَّنَازُعِ:

١ - تَرْكُ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَى الْأَهْوَاءِ وَأَقْوَالِ الرِّجَالِ..

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

تَفْرِيعُ سِلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْحَجِيَّةٍ

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ».

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا خَطَبَ: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَمَاعَةِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْإِخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى".

وَعَنِ التَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ ابْنِ شَهَابٍ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: "الْإِعْتَصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ".

وَقَالَ الْإِمَامُ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَرَأْيَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخَرَفُوهُ بِالْقَوْلِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ".

تَفْرِيعُ سِلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلَ مِنْهُجَتِنَا

٥

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَيَتَّبِعُونَ الْحَقَّ، وَيَرْحُمُونَ الْخَلْقَ". (١)

وَقَالَ أَيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالْفِتْنَةُ وَالْفُرْقَةُ لَا تَقَعَانِ إِلَّا مَنْ تَرَكَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَأَمَرَ بِالصَّبْرِ، وَالْفِتْنَةُ تَكُونُ مَنْ تَرَكَ الْحَقَّ أَوْ مَنْ تَرَكَ الصَّبْرَ". أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- وَمِنْ أَسْبَابِ الْإِخْتِلَافِ وَالتَّنَازُعِ عَدَمُ تَمْيِيزِ السُّنَّةِ مِنَ الْبِدْعَةِ عَلَى بَعْضِ صِغَارِ الْمُتَسَبِّينَ لِلْعِلْمِ أَنْصَافِ الْمُتَعَلِّمِينَ، الَّذِينَ جَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي مَصَافِ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ، فَتَجَدُّ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ الْمُهْتَدِي، وَيَحْسَبُ أَنَّ السُّنَّةَ مَعَهُ، وَأَنَّ الْمُخَالَفَ لَهُ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ وَرُبَّمَا قَالَ: كَافِرٌ، فَيَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالشُّرُورِ مَا أَلَّفَ بِهِ عَلَيْهِ.

وَالسُّنَّةُ هِيَ مَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالْبِدْعَةُ هِيَ مَا لَمْ يُشْرَعْهُ اللَّهُ مِنَ الدِّينِ.

وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ

تَفْرِيعُ سِلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْجِيَّةٍ

٦

مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَاَنْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ". أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمِنْ صِفَاتِ رُءُوسِ الضَّلَالَةِ (أَهْلِ الْبِدْعِ): أَنَّهُمْ يَمَرُّونَ بِاطْلَاهُمْ بِعِبَارَاتٍ شَرْعِيَّةٍ رَنَّانَةٍ، كَحِفْظِ جَنَابِ التَّوْحِيدِ، وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَأَهْلِ السُّنَّةِ الْمُحَضَّةِ وَغَيْرِهَا؛ كَمَا قَالَتِ الْخَوَارِجُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَقَالُوا: "لَا نُحْكَمُ الرَّجَالِ، نُريدُ حُكْمَ اللَّهِ".

وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ لَا تَرْوِجُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، كَمَا لَا تَرْوِجُ الدَّنَائِيرُ الزَّائِفَةُ عَلَى الصَّيرِفِيِّ الْحَادِقِ، فَقَدْ فَهِمَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعْرَى كَلَامِ الْخُرُورِيَّةِ، وَلَمْ يَرْجُ عَلَيْهِ قَوْلُهُمْ: (لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) كَمَا رَاجَ عَلَى الْجُهَّالِ، حَيْثُ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَخَفِّنَا الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ" (٦٠)، فَمَا تَذَرُونَ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ؟ يَقُولُونَ: لَا إِمَارَةَ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يُصْلِحُكُمْ إِلَّا أَمِيرٌ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ". (٢)

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ الْخُرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ وَهُوَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ عَلِيٌّ: "كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدُ بِهَا بَاطِلٌ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَفَ نَاسًا إِنِّي

تَفْرِيعُ سِلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْجِيَّتِهِ

لَا عَرِفُ صِفَتَهُمْ فِي هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَتِهِمْ، لَا يَجَاوِزُ هَذَا مِنْهُمْ
(وَأَشَارَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى حَلْقِهِ) مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ .

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : "قَوْلُهُ: (قَالُوا لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ عَلِيٌّ: كَلِمَةُ حَقٍّ
أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ) مَعْنَاهُ: أَنَّ الْكَلِمَةَ أَصْلُهَا صِدْقٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ
إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، لَكِنَّهُمْ أَرَادُوا بِهَا الْإِنْكَارَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَحْكِيمِهِ .
أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَجَبَ عَلَى طَالِبِ الْحَقِّ أَنْ يَتَنَغَّى الْحَقَّ مِنْ مِطَاطِنِهِ، لَا مِنْ
الْمُرْجَفِينَ أَنْصَافِ الْمُتَعَلِّمِينَ، وَلَا مِنْ عُلَمَاءِ الضَّلَالَةِ.

وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْمُبَارَكِ يَقُولُونَ: إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فَأَنْظِرُوا مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الثَّغْرِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فَكَيْفَ تَتْرُكُ أَخِي الْمُجَاهِدُ أَهْلَ الثَّغْرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ نَفَرُوا إِلَى أَرْضِ
الْجِهَادِ وَالْإِسْلَامِ، كَيْفَ تَتْرُكُ هَذَا الْمُعِينِ الصَّافِي، ثُمَّ تَذَهَبُ لِتَأْخُذَ دِينَكَ عَنِ
الْقَاعِدِينَ بَيْنَ أَحْضَانِ طَوَاغِيَتِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهَا، وَمَا كَفَرَهُمْ وَلَا أَنْكَرَ
عَلَيْهِمْ، يُخَالِطُ جُنُودَهُ وَرِجَالَ أَمْنِهِ وَمُخَابَرَاتِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا أَرْتَكِبُوهُ
مِنْ نَوَاقِصٍ.

وَلَا تَغْتَرَّ أَخِي بِسَجْنِ الطَّاغُوتِ لِأَحَدِهِمْ فَقَدْ يَكُونُ تَلْمِيعًا وَإِشْهَارًا لَهُ
وَلَا قَوْلًا لَهُ، وَإِذْ خَالَأَ لَهُ عَلَى الْإِخْوَةِ فِي السُّجُونِ؛ لِإِحْدَاثِ الْبَلْبَلَةِ وَالْإِقْلَاقِ

تَفْرِيعُ سِلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْهَجِيَّةٍ

الشُّبُهَاتِ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ كَانَتْ هُمْ الْفُرْصَةُ سَانِحَةً إِنْ كَانُوا أَهْلَ حَقٍّ وَصِدْقٍ أَنْ يَنْفِرُوا إِلَى أَرْضِ الْجِهَادِ، وَيُهَاجِرُوا إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ.

فَإِنَّ الطَّاعُونََ الَّذِي يُؤْوِي أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ الْمُنْظَرِينَ لِلْغُلُوفِ فِي التَّكْفِيرِ، وَيَسْمَحُ بِرَوَاجِ بَدْعَتِهِمْ هُوَ نَفْسُهُ الَّذِي يُؤْوِي أَهْلَ التَّجَهُمِ وَالْإِرْجَاءِ وَيُعِينُهُمْ عَلَى التَّرْوِيجِ لِبَدْعَتِهِمْ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِكَوْنِ الطَّرَفَيْنِ وَالْمُنْهَجَيْنِ يُؤَدِّيَانِ لِنَتِيجَةٍ وَاحِدَةٍ؛ وَهِيَ الطَّعْنُ فِي أَهْلِ الْحَقِّ وَتَرْكُ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.

أَخِي الْمُجَاهِدُ: كَيْفَ بَعْدَ إِذْ نَجَّكَ اللَّهُ مِنْ شِبَاكِ عُلَمَاءِ الطَّوَاعِيَةِ أَهْلِ الْإِرْجَاءِ، تَعُودُ فَتَقَعُ فِي شِبَاكِ عُلَمَاءِ الطَّوَاعِيَةِ الْمُرُوجِينَ لِلْغُلُوفِ الْمُصَدِّرِينَ لِلشُّبُهَاتِ؛ لِكَيْ يُقْعِدُوكَ عَنْ جِهَادِكَ، وَيَرُدُّوكَ عَنْ هَجْرَتِكَ، فَيَسْلَمَ مِنْ بَأْسِكَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: "مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَمْرٍ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَزْعَتَانِ: فِيمَا إِلَى غُلُوفٍ، وَإِمَّا إِلَى تَقْصِيرٍ؛ فَبِأَيِّمَا ظَفَرَ قَنَعَ".

كَيْفَ تَتْرُكُ عِلْمَ مَنْ يَحْمِلُ مَعَكَ السَّلَاحَ، وَيُقَاتِلُ مَعَكَ فِي الصِّفِّ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ - لَا أَعْنِي أَنْصَافَ الْمُتَعَلِّمِينَ -، وَتُسَلِّمَ عَقْلَكَ وَذِهْنَكَ إِلَى مَنْ لَا يُسْتَأْمَنُ عَلَى دِينِهِ، وَهُوَ يَعِيشُ فِي دَعَا سَالِمًا مُسَالِمًا لِلطَّوَاعِيَةِ، وَيُنْظَرُ لَكَ مِنْ بَعِيدٍ؟!!

تَفْرِيعُ سُلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْجِيَّةٍ

٩

٣- السَّبَبُ الثَّالِثُ مِنْ أَسْبَابِ الْإِخْتِلَافِ وَالتَّنَازُعِ: الْبَغْيُ، يُقَالُ بَغَى فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ؛ أَي تَعَدَّى عَلَيْهِ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ وَتَجَاوَزَ حَدَّهُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الاجْتِهَادُ السَّائِعُ لَا يَبْلُغُ مَبْلَغَ الْفِتْنَةِ وَالْفُرْقَةِ إِلَّا مَعَ الْبَغْيِ، لَا لِجُرْدِ الْاجْتِهَادِ... فَلَا يَكُونُ فِتْنَةً وَفُرْقَةً مَعَ وُجُودِ الْاجْتِهَادِ السَّائِعِ، بَلْ مَعَ نَوْعِ بَغْيٍ، وَكُلُّ مَا أَوْجَبَ فِتْنَةً وَفُرْقَةً فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ، سِوَاءَ كَانَ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا...

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَعَامَّةُ مَا تَنَازَعَتْ فِيهِ فِرْقَةُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَسَائِلِ الْأُصُولِ وَغَيْرِهَا فِي بَابِ الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ وَالْإِمَامَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ: هُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ فِيهِ الْمُجْتَهِدُ الْمُصِيبُ، وَفِيهِ الْمُجْتَهِدُ الْمُخْطِئُ، وَيَكُونُ الْمُخْطِئُ بَاطِلًا،

وَفِيهِ الْبَاغِي مِنْ غَيْرِ اجْتِهَادٍ، وَفِيهِ الْمُقَصِّرُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الصَّبْرِ". (٣) أَتَنَهَى
كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَإِنَّ مِنَ الْبَغْيِ الْإِسْطِطَالَةَ عَلَى الْمُخَالِفِ، وَأَتَاهُمَا فِي نِيَّتِهِ، وَقَذَفَ الْمُسْلِمَ
بِالْكُفْرِ أَوْ الْبِدْعَةِ تَعَدِّيًّا وَظُلْمًا جُزَافًا مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ...

أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَ بِهِجَتُهُ عَلَيْهِ،
وَكَانَ رِذْنًا لِلْإِسْلَامِ، غَيَّرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَأَنْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ،
وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشُّرْكِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَى
بِالشُّرْكِ، الْمَرْمِيُّ أَمْ الرَّامِي؟ قَالَ: «بَلِ الرَّامِي».

وَقَالَ الْأَجْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ أَخْبَرَنَا فِي كِتَابِهِ
عَمَّنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، أَنَّهُمْ إِنَّمَا هَلَكُوا لَمَّا أَفْتَرَقُوا
فِي دِينِهِمْ، وَأَعْلَمْنَا مَوْلَانَا الْكَرِيمُ أَنَّ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى الْفُرْقَةِ عَنِ الْجَمَاعَةِ
وَالْمِيلِ إِلَى الْبَاطِلِ الَّذِي نُهُوا عَنْهُ، إِنَّمَا هُوَ الْبَغْيُ وَالْحَسَدُ، بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا مَا لَمْ
يَعْلَمْ غَيْرُهُمْ، فَحَمَلَهُمْ شِدَّةُ الْبَغْيِ وَالْحَسَدِ إِلَى أَنْ صَارُوا فِرْقًا فَهَلَكُوا،
فَحَذَرْنَا مَوْلَانَا الْكَرِيمُ أَنْ نَكُونَ مِثْلَهُمْ فَهَلِكًا كَمَا هَلَكُوا، بَلْ أَمَرْنَا عَزَّ وَجَلَّ
بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفُرْقَةِ، وَكَذَلِكَ حَذَرْنَا النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الْفُرْقَةِ
وَأَمَرْنَا بِالْجَمَاعَةِ، وَكَذَلِكَ حَذَرْنَا أَئِمَّتَنَا مِنْ سَلَفِ مَنْ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ، كُلِّهِمْ

تَفْرِيعُ سِلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْجِيَّةٍ

يَأْمُرُونَ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفُرْقَةِ". (٤) اُنْتَهَى كَلَامُ الْأَجْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَنُكِرَ أَشَدَّ النِّكَارِ عَلَى مَنْ يَبْغِي وَيَتَعَدَّى فَيُكْفِّرُ الْعُلَمَاءُ أَمْثَالَ ابْنِ قُدَامَةَ الْمُقَدِّسِيِّ وَالتَّوَوِيِّ وَابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ وَغَيْرِهِمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ مِمَّنْ هُمْ عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ أَيَادٍ بِيضَاءٍ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ وَنُصْرَةِ الشَّرِيعَةِ، بَلْ نَحْفَظُ مَكَانَتَهُمْ وَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ، وَنَعْتَذِرُ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ أَخْطَاءٍ وَزَلَّاتٍ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ أَحَدُ أَيْمَةِ التَّابِعِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "كُلُّ أُمَّةٍ عُلَمَاؤُهَا شِرَارُهَا، إِلَّا الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ عُلَمَاءَهُمْ خِيَارُهُمْ". (٥)

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: دَفَعُ التَّكْفِيرَ عَنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ أَخْطَئُوا هُوَ مِنْ أَحَقِّ الْأَغْرَاضِ الشَّرْعِيَّةِ". (٦) اُنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَنَحْنُ كَذَلِكَ: لَا نَقُولُ بِكُفْرِ مَنْ صَحَّتْ دِيَانَتُهُ، وَشَهَرَ صِلَاخُهُ، وَعُلِمَ وَرَعُهُ وَزُهْدُهُ، وَحَسُنَتْ سِيرَتُهُ، وَبَلَغَ مِنْ نُصْحِهِ الْأُمَّةَ بِبَذْلِ نَفْسِهِ لِتَدْرِيسِ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَالتَّأْلِيفِ فِيهَا، وَإِنْ كَانَ مُخْطِئًا فِي هَذِهِ الْمُسْأَلَةِ أَوْ غَيْرِهَا". اُنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) الشريعة (١/٢٧٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٧/٢٨٤).

(٦) مجموع الفتاوى (٣٥/١٠٣).

تَفْرِيعُ سِلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْجِيَّةٍ

وَمَنْ نُثْنِي عَلَيْهِمْ، وَنَحْفَظُ حَقَّهُمْ عَلَيْنَا أَمْرَاءُ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ أَبِي مُضْعَبِ الرَّزْقَاوِيِّ؛ أَمِيرِ الْأُسْتَشْهَادِيِّينَ، الصَّادِعِ بِالْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ، وَقَتَّالِ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالتَّنْذِيدِ، مُرُورًا بِالشَّيْخِ الْمُجَاهِدِ أَبِي عُمَرَ الْبَغْدَادِيِّ صَاحِبِ الْعَقِيدَةِ الرَّاسِخَةِ وَالْمُوَاقِفِ الشَّائِخَةِ، وَوَزِيرِهِ الشَّيْخِ الْمُجَاهِدِ أَبِي حَمْزَةَ الْمُهَاجِرِ صَاحِبِ التَّالِيفِ وَالتَّصَانِيفِ النَّافِعَةِ، وَالشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَدْنَانِيِّ قَامِعِ الْمُنْحَرِفِينَ، وَكَاسِرِ حُدُودِ الْكَافِرِينَ، وَالْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ أَبِي عَلِيٍّ الْأَنْبَارِيِّ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَمْرَاءِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الَّذِينَ قَضَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نَحْسِبُهُمْ وَاللَّهُ حَسِيبُهُمْ، وَلَا نُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا.

وَسَتَشْتَمِلُ هَذِهِ السِّلْسِلَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى بَيَانِ أُمُورٍ مِنْهَا:

- حُكْمُ التَّوَقُّفِ فِي تَكْفِيرِ الْمُشْرِكِينَ أَوْ الْكُفَّارِ.
- حُكْمُ الطَّوَائِفِ الْمُتَمَنِّعَةِ، وَحُكْمُ الْمُخَالَفِ فِيهَا.
- حُكْمُ سَاكِنِي دِيَارِ الْكُفْرِ الطَّارِي.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُبَارِكَ فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا سَبَبًا لَجَمْعِ كَلِمَةِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْحَلَقَةُ الثَّانِيَّةُ: أَصْلُ الدِّينِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَفِي هَذِهِ الْحَلَقَةِ سَتَتَنَاوَلُ الْحَدِيثَ عَنْ أَصْلِ الدِّينِ...

وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي غَايَةِ الْأَهَمِّيَّةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِيمَانُ أَحَدٍ إِلَّا إِذَا أَتَى

بِهِ.

فَمَا هُوَ أَصْلُ الدِّينِ؟

أَصْلُ الدِّينِ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ، وَعِبَادَتِهِ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا
سِوَاهُ، وَالْبَرَاءَةُ مِمَّنْ أَشْرَكَ بِهِ سُبْحَانَهُ.

أَرْبَعَةُ أُمُورٍ...

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى قَامَا بِأَصْلِ
الدِّينِ؛ الَّذِي هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمُخَاصَمَةُ مَنْ
كَفَرَ بِاللَّهِ". (٧) أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(وَالْبَرَاءَةُ مِمَّنْ أَشْرَكَ بِهِ سُبْحَانَهُ) هُوَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو تَيْمِيَّةَ هُنَا بِقَوْلِهِ: "وَمُخَاصِمَةٌ مِّنْ كَفَرٍ بِاللَّهِ"، فَكِلَا الْعِبَارَتَيْنِ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ: مُخَاصِمَةُ الْمُشْرِكِينَ وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ.

فَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَصْلُ الدِّينِ أَنْ يَكُونَ الْحُبُّ لِلَّهِ، وَالْبُغْضُ لِلَّهِ، وَالْمُؤَالَاةُ لِلَّهِ، وَالْمُعَادَاةُ لِلَّهِ، وَالْعِبَادَةُ لِلَّهِ". (٨) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

فَنَقُولُ بِنَاءً عَلَى مَا سَبَقَ: لَوْ أَنَّ شَخْصًا أَتَى بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ مِّنْ أَصْلِ الدِّينِ وَلَمْ يَأْتِ بِالرَّابِعِ؛ كَتَرَكَ عِبَادَةَ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ تَرَكَ الْبَرَاءَةَ مِمَّنْ أَشْرَكَ بِهِ سُبْحَانَهُ، هَلْ يَصِحُّ إِسْلَامُهُ؟

الْجَوَابُ: لَا.

فَمَاذَا يُسَمَّى؟ يُسَمَّى مُشْرِكًا كَافِرًا.

وَهَذَا الْقَدْرُ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الدِّينِ لَا يُعْذَرُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ أَحَدٌ بَلَغَ حَدَّ التَّكْلِيفِ وَلَوْ كَانَ جَاهِلًا، سَوَاءً بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ الرَّسَالِيَّةُ أَوْ لَمْ تَبْلُغْهُ، أَوْ بَلَفَظَ آخَرَ سِوَاءَ جَاءَهُ رَسُولٌ أَوْ لَمْ يَأْتِهِ.

قَالَ إِمَامُ الْمُفَسِّرِينَ أَبُو جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ ذِكْرِهِ لِشَيْءٍ مِّنْ أَصْلِ الدِّينِ، قَالَ: "لَا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ بِهِ أَحَدٌ بَلَغَ حَدَّ التَّكْلِيفِ؛ كَانَ مِمَّنْ أَتَاهُ مِنَ اللَّهِ

تَفْرِيعُ سِلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْجِيَّةٍ

تَعَالَى رَسُولٌ، أَوْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ، عَايَنَ مِنَ الْخَلْقِ غَيْرُهُ، أَوْ لَمْ يُعَايِنِ أَحَدًا سِوَى نَفْسِهِ". (٩) اُنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

لَمْ يُعَايِنِ أَحَدًا سِوَى نَفْسِهِ؛ يَعْنِي لَمْ يَرِ إِلَّا نَفْسَهُ؛ كَمَنْ كَانَ فِي جَزِيرَةٍ نَائِيَةٍ وَلَمْ يَرِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ سِوَى نَفْسِهِ.

نَقُولُ: فَإِذَا جَاءَهُ رَسُولٌ دَخَلَ فِي أَصْلِ الدِّينِ الْإِيمَانُ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ.

إِذِنَ الْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ بَعَثْتَهُ إِلَى الْآنَ وَبِمَا جَاءَ بِهِ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ يَدْخُلُ فِي أَصْلِ الدِّينِ؛ لِأَنَّ أَصْلَ الدِّينِ هُوَ الشَّهَادَتَانِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَصْلُ الدِّينِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَشَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ". (١٠) اُنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

طَيَّبَ مَا مَعْنَى (الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ)؟

يَعْنِي: الْإِيمَانُ بِوُجُودِهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(٩) التبصير في معالم الدين (ص ١٢٦-١٣٢).

(١٠) مجموع الفتاوى (١٠/١).

وَالْأَمْرُ مِنْهُ مَا هُوَ كَوْنِيٌّ؛ أَيَّ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ، وَمِنْ الْأَمْرِ مَا هُوَ شَرْعِيٌّ؛ وَيَتِمَثَّلُ بِتَفَرُّدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَإِنَّ أَصْلَ الدِّينِ أَنَّهُ لَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ، وَلَا دِينَ إِلَّا مَا شَرَعَهُ اللَّهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَالْأَعْرَافِ عَابَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ حَرَّمُوا مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ، وَأَنَّهُمْ شَرَعُوا مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ". (١١) أَتَتْهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

مَرَّةً ثَانِيَةً: مَا هُوَ أَصْلُ الدِّينِ؟ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ، وَعِبَادَتُهُ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَالْبَرَاءَةُ مِمَّنْ أَشْرَكَ بِهِ سُبْحَانَهُ.

شَرَحْنَا الْإِقْرَارَ بِاللَّهِ.

طَيِّبٌ، مَا مَعْنَى: عِبَادَتُهُ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ، وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَالْبَرَاءَةُ مِمَّنْ أَشْرَكَ بِهِ سُبْحَانَهُ؟

مَعْنَاهُ: تَوْحِيدُ اللَّهِ، وَمَحَبَّةُ التَّوْحِيدِ وَتَحْسِينُهُ، وَمُؤَالَاةُ أَهْلِهِ، وَتَقْبِيحُ الشُّرْكِ، وَاجْتِنَابُهُ، وَمُخَاصَمَةُ أَهْلِهِ.

قَالَ أَبُو الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ حُسْنُ التَّوْحِيدِ وَقُبْحُ الشُّرْكِ مَعْلُومًا بِالْعَقْلِ، مُسْتَقَرًّا فِي الْفِطْرِ، فَلَا وَثُوقَ بِشَيْءٍ مِنْ قَضَايَا الْعَقْلِ؛ فَإِنَّ

تَفْرِيعُ سِلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْجِيَّةٍ

هَذِهِ الْقَضِيَّةُ مِنْ أَجْلِ الْقَضَايَا الْبَدِيعِيَّاتِ، وَأَوْضَحَ مَا رَكَّبَ اللَّهُ فِي الْعُقُولِ وَالْفِطْرِ". (١٢) أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمُؤَالَاهُ أَهْلِهِ: هَذَا هُوَ الْوَلَاءُ؛ مُؤَالَاهُ الْمُؤْمِنِينَ...

وَمُخَاصَمَةُ أَهْلِهِ -يَعْنِي أَهْلَ الشَّرْكِ-: هَذَا هُوَ الْبِرَاءُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ...

وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْوَلَاءَ وَالْبِرَاءَ يَدْخُلُ فِي أَصْلِ الدِّينِ.

وَلَكِنْ هَلْهُنَا مَسْأَلَةٌ؟ وَهِيَ الْفَرْقُ بَيْنَ وُجُودِ الْعَدَاوَةِ لِلْكَافِرِينَ وَبَيْنَ إِظْهَارِ الْعَدَاوَةِ، فَالْأَوَّلُ -وَهُوَ وُجُودُ الْعَدَاوَةِ- مِنْ أَصْلِ الدِّينِ، وَالثَّانِي: وَهُوَ إِظْهَارُ الْعَدَاوَةِ فَمِنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ لَا مِنْ أَصْلِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّطِيفِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَمَسْأَلَةُ إِظْهَارِ الْعَدَاوَةِ غَيْرُ مَسْأَلَةِ وُجُودِ الْعَدَاوَةِ؛ فَالْأَوَّلُ: يُعْذَرُ بِهِ مَعَ الْعَجْزِ وَالْخَوْفِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْتَفُوا مِنْهُمْ ثِقَةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، وَالثَّانِي: لَا بُدَّ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ يَدْخُلُ فِي الْكُفْرِ بِالطَّاعُوتِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ حُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ تَلَازُمٌ كُلِّيٌّ، لَا يَنْفَكُ عَنْهُ الْمُؤْمِنُ". ١. هـ (١٣)

أَصْلُ الدِّينِ كَمَا قُلْنَا: لَا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ بِهِ أَيُّ أَحَدٍ؛ أَيُّ لَا يَصِحُّ إِسْلَامُ مَنْ نَقَضَهُ وَلَا يَرْتَفِعُ عَنْهُ أَسْمُ الْكُفْرِ.

(١٢) مدارج السالكين (٣/٤٥٥).

(١٣) الدرر السنية (٨/٣٥٩).

تَفْرِيعُ سَلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْجِيَّتِهِ

لِمَاذَا لَمْ يُعْتَبَرْ بِجَهْلِ الرَّجُلِ الْعَاقِلِ أَوْ الْمَرْأَةِ الْعَاقِلَةِ فِي أَصْلِ الدِّينِ؟
لِأَنَّهُ مِمَّا عَلِمَ وَثَبَتَ بِالْمِثَاقِ وَضُرُورَةِ الْفِطْرَةِ وَالْعَقْلِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَصْلُ الدِّينِ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ، الَّذِي أَصْلُهُ الْحُبُّ وَالْإِنَابَةُ وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهُ، وَهُوَ الْفِطْرَةُ الَّتِي فَطَرَ عَلَيْهَا النَّاسَ". ١. هـ. (١٤) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَقَالَ أَبُو الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَيُّ شَيْءٍ يَصِحُّ فِي الْعَقْلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ بِقُبْحِ الشِّرْكِ الذَّاتِيِّ، وَأَنَّ الْعِلْمَ بِقُبْحِهِ بَدِيهِيٌّ مَعْلُومٌ بِضُرُورَةِ الْعَقْلِ، وَأَنَّ الرُّسُلَ نَبَّهُوا الْأُمَمَ عَلَى مَا فِي عُقُولِهِمْ وَفِطَرِهِمْ مِنْ قُبْحِهِ". (١٥) أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّ أَصْلَ الدِّينِ لَا يُشْتَرَطُ فِيهِ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ لِلْحُكْمِ بِالْكَفْرِ عَلَى مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ؛ أَيُّ نَحْكُمُ عَلَى مَنْ لَمْ يَأْتِ بِأَصْلِ الدِّينِ بِالْكَفْرِ، سَوَاءً أُقِيمَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ أَمْ لَمْ تُقَمْ.

وَنُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّهُ لَا عُذْرَ لِأَيِّ أَحَدٍ بِالْجَهْلِ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَصْلِ الدِّينِ؛ لِأَنَّهَا مِنَ الْعُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ الْمُسْتَقَرَّةِ فِي جَمِيعِ الْفِطَرِ وَالْعُقُولِ، وَبِالتَّالِي فَمَنْ أَنْتَقَضَ أَصْلُ دِينِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَلَكِنَّ عَذَابَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُتَوَقَّفٌ عَلَى بُلُوغِ الْحُجَّةِ الرَّسَالِيَّةِ إِلَيْهِ.

(١٤) مجموع الفتاوى (٤٣٨/١٥).

(١٥) مدارج السالكين (٢٥٣/١).

قَالَ الْعَلَامَةُ أَبُو الْقِيَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَمَّا كُفْرُ الْجَهْلِ مَعَ عَدَمِ قِيَامِ الْحُجَّةِ، وَعَدَمِ التَّمَكُّنِ مِنْ مَعْرِفَتِهَا؛ فَهَذَا الَّذِي نَفَى اللَّهُ التَّعْذِيبَ عَنْهُ حَتَّى تَقُومَ حُجَّةُ الرُّسُلِ". (١٦) أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

سُؤَالٌ:

مَا الَّذِي يُنَاقِضُ أَصْلَ الدِّينِ؟

الْجَوَابُ: الشِّرْكُ...

حَيْثُ قُلْنَا فِي تَعْرِيفِ أَصْلِ الدِّينِ: أَنَّهُ الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ وَعِبَادَتُهُ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَالْبَرَاءَةُ مِمَّنْ أَشْرَكَ بِهِ سُبْحَانَهُ.

إِذَنْ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ يُنَاقِضُ أَصْلَ الدِّينِ وَيُنَافِيهِ.

وَمَعْنَى الشِّرْكِ شَرْعًا: هُوَ جَعْلُ الشَّرِيكِ أَوْ النَّدِّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ أُلُوْهِيَّتِهِ أَوْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

فَمِثَالُ شِرْكِ الرُّبُوبِيَّةِ: أَنْ يُجْعَلَ مَعَ اللَّهِ خَالِقٌ أَوْ رَازِقٌ أَوْ مُدَبِّرٌ أَوْ حَاكِمٌ أَوْ مُشَرِّعٌ.

وَمِثَالُ الشِّرْكِ فِي الْأُلُوْهِيَّةِ: السُّجُودُ أَوِ الدُّعَاءُ أَوِ النَّذْرُ أَوِ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللَّهِ.

وَمِثَالُ الشِّرْكَ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: تَعْطِيلُهَا مِثْلُ نَفْيِ الْعِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ عَنِ اللَّهِ، أَوْ تَشْبِيهُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِخَلْقِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الشِّرْكَ لَمْ يُعْذَرْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِجَهْلِهِ؛ لِأَنَّهُ يُنَاقِضُ أَصْلَ الدِّينِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَكَمَ بِكُفْرِ الْأَتْبَاعِ وَالْمُقَلِّدِينَ، وَحَكَمَ بِكُفْرِ الْأُمِّيِّينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَعَ جَهْلِهِمْ، وَحَكَمَ بِكُفْرِ جَهْلَةِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ الْعَلَامَةُ أَبُو الْقِيَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا فَهُوَ فِي النَّارِ، وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا قَدْ غَيَّرُوا الْحَنِيفِيَّةَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ وَأَسْتَبَدُّوا بِهَا الشِّرْكَ وَأَرْتَكَبُوهُ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ حُجَّةٌ مِنَ اللَّهِ بِهِ، وَقُبْحُهُ وَالْوَعِيدُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ لَمْ يَزَلْ مَعْلُومًا مِنْ دِينِ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَأَخْبَارُ عُقُوبَاتِ اللَّهِ لِأَهْلِهِ مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْأُمَمِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا فَطَرَ عِبَادَهُ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ رُبُوبِيَّتِهِ الْمُسْتَلَزِمِ لِتَوْحِيدِ إِلَهِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ فِي كُلِّ فِطْرَةٍ وَعَقْلٍ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ إِلَهٌ آخَرُ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ لَا يُعَذِّبُ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ وَحْدَهَا، فَلَمْ تَزَلْ دَعْوَةُ الرُّسُلِ إِلَى التَّوْحِيدِ فِي الْأَرْضِ مَعْلُومَةً لِأَهْلِهَا، فَالْمُشْرِكُ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ بِمُخَالَفَتِهِ دَعْوَةَ الرُّسُلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ". أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَأَمَّا الْجَهْلَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُتَسَبِّينَ لِلْإِسْلَامِ وَغَيْرِهِمْ فَالْأَمْرُ فِيهِمْ أَشَدُّ؛ لِأَنَّ غَالِبَ جَهْلِهِمْ جَاءَ مِنْ جِهَةِ الْإِعْرَاضِ عَنْ رِسَالَتِهِ ﷺ، وَالْإِعْرَاضُ بِمَجَرَّدِهِ كُفْرٌ، فَكَيْفَ لَوْ كَانَ مَعَهُ شِرْكٌ؟!

قَالَ الشُّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَمَنْ وَقَعَ فِي الشَّرْكِ جَاهِلًا لَمْ يُعْذَرْ، لِأَنَّ الْحُجَّةَ قَامَتْ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ بِمَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَنْ جَهِلَ فَقَدْ أَتَى مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ؛ بِسَبَبِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِلَّا فَفِيهِمَا الْبَيَانُ الْوَاضِحُ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩]، وَكَذَلِكَ السُّنَّةُ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "تُوفِّيَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَمَا تَرَكَ طَائِرًا يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا"، أَوْ كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَمَنْ جَهِلَ فَبِسَبَبِ إِعْرَاضِهِ، وَلَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِالْإِعْرَاضِ". أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

هَذَا وَادِّلَّةٌ عَدَمِ عُذْرِ الْجَاهِلِ فِي الشَّرْكِ وَالَّذِي يُنَاقِضُ أَصْلَ الدِّينِ كَثِيرَةٌ.

مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٣٠) [الأعراف: ٣٠].

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ الْفَرِيقَ الَّذِي حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ، إِنَّمَا ضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَجَارُوا عَنْ قَصْدِ الْمَحَجَّةِ، بِاتِّخَاذِهِمُ الشَّيَاطِينَ نُصْرَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَظَهْرَاءَ؛ جَهْلًا مِنْهُمْ بِخَطَا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ عَلَى هُدًى وَحَقٌّ، وَأَنَّ الصَّوَابَ مَا أَتَوْهُ وَرَكَّبُوا.

وَهَذَا مِنْ أَبْيَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى خَطَا قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ رَكِبَهَا أَوْ ضَلَالَةٍ أَعْتَقَدَهَا، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهَا بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُ بِصَوَابٍ وَجْهِهَا، فَيَرْكَبُهَا عِنَادًا مِنْهُ لِرَبِّهِ فِيهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَ فَرِيقٍ

الضَّلَالَةِ الَّذِي ضَلَّ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ هَادٍ، وَفَرِيقِ الْهُدَى فَرَقٌ، وَقَدْ فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ أَسْمَائِهِمَا وَأَحْكَامِهِمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ ^(١٧). اُنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى عَدَمِ عُذْرِ الْجَاهِلِ فِي الشَّرْكِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ^(١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ^(١٠٤) [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَهَذَا مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَى خَطَا قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِاللَّهِ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَقْصِدُ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْعِلْمِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ سَعِيَّهُمُ الَّذِي سَعَوْا فِي الدُّنْيَا ذَهَبَ ضَلَالًا، وَقَدْ كَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ فِي صُنْعِهِمْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَلَوْ كَانَ الْقَوْلُ كَمَا قَالَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِاللَّهِ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ - لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ فِي عَمَلِهِمُ الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسَبُونَ فِيهِ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعَهُ، كَانُوا مُثَابِرِينَ مَأْجُورِينَ عَلَيْهَا، وَلَكِنَّ الْقَوْلَ بِخِلَافِ مَا قَالُوا، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ: أَنَّهُمْ بِاللَّهِ كَفَرُوا، وَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ حَابِطَةٌ" ^(١٨). اُنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

طَيِّبٌ: إِذَا حَكَمْنَا عَلَى شَخْصٍ مَا بِالْكَفْرِ وَالشَّرْكِ، مَا الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ؟

(١٧) تفسير الطبري (١٢/٣٨٨).

(١٨) تفسير الطبري (١٨/١٢٨).

يَتَرْتَّبُ عَلَى حُكْمِنَا عَلَى أَحَدٍ بِالْكَفْرِ وَالشِّرْكِ وَلَوْ كَانَ جَاهِلًا: قَطْعُ
الْمُوَالَاةِ الْإِيمَانِيَّةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ حَتَّى يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعَدَمُ التَّنَاضُحِ مَعَهُ أَوْ
أَكْلِ ذَبِيحَتِهِ، وَكَذَا عَدَمُ الْإِسْتِغْفَارِ لَهُ إِنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَا حَظَّ لَهُ مِنَ
الْحُقُوقِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ.

وَأَمَّا تَعْذِيبُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَهَذَا مُتَوَقَّفٌ عَلَى قِيَامِ الْحُجَّةِ الرَّسَالِيَّةِ،
وَهَذَا عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ
حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ
قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ
وَنُخْرِجَ﴾ (١٣٤ طه: ١٣٤).

وَنُؤَكِّدُ عَلَى: أَنَّ مَنْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ أَيْضًا،
وَإِنْ كَانَ مُدَّعِيًا لِلْإِسْلَامِ نَاطِقًا بِالشَّهَادَتَيْنِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
وَلَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥ الزمر: ٦٥).

وَقَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِهِ لِأَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٨ الأنعام: ٨٨).

وَهَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ يَحْبِطُ بِالشِّرْكِ، وَأَنَّ مَنْ
أَشْرَكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ كَانَ نَاطِقًا بِالشَّهَادَتَيْنِ عَامِلًا بِشَعَائِرِ
الْإِسْلَامِ الْآخَرَى.

وَنَخْتِمُ بِمَسْأَلَتَيْنِ:

الأولى: لَوْ كَانَ إِنْسَانٌ قَائِمًا بِأَصْلِ الدِّينِ يَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيُؤْمِنُ بِرَسُولِهِ ﷺ، لَكِنَّهُ يَجْهَلُ مُصْطَلَحَ أَصْلِ الدِّينِ.

بِمَعْنَى أَنَّكَ لَوْ سَأَلْتَهُ: مَا هُوَ أَصْلُ الدِّينِ؟ تَلَعَّمْ أَوْ لَمْ يُحِزْ جَوَابًا، فَلَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ؛ لِقِيَامِهِ بِأَصْلِ الدِّينِ، إِذْ لَا يَضُرُّهُ عَدَمُ مَعْرِفَةِ مَا أَصْطَلَحَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَالْمَعَانِي.

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا: مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ - وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ -: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ قَالَ مِثْلَهُ ثَلَاثًا: «هَلْ تَذَرِي مَا حَقَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ»، قُلْتُ: لَا، قَالَ: «حَقَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا».

فَتَصْرِيحُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنَّهُ يَجْهَلُ حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ لَمْ يُوقِعْهُ فِي الْكُفْرِ أَوْ الشِّرْكِ؛ لِأَنَّهُ قَائِمٌ بِهَذَا الْحَقِّ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ الْإِصْطِلَاحَ الشَّرْعِيَّ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى.

المسألة الثانية: أَنَّ إِحْدَى الْمَسَائِلِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَنَّهَا مِنْ أَصْلِ الدِّينِ قَدْ يُخْفَى عَلَى بَعْضِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ أَنَّهَا مِنْ أَصْلِ الدِّينِ، وَهِيَ مَسْأَلَةُ عَدَاوَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَمُؤَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَيَظُنُّ أَنَّهَا مِنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ لَا مِنْ أَصْلِهِ، أَوْ يَتَوَقَّفُ فِيهَا، فَهَذَا لَا يُعَدُّ نَاقِضًا لِأَصْلِ الدِّينِ طَالَمَا أَنَّهُ حَقَّقَ الْبَرَاءَةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَالْمُؤَالَاةَ لِلْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "بِحَسْبِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْلَمَ: أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِ عِدَاوَةَ الْمُشْرِكِينَ وَعَدَمَ مَوَالِيَتِهِمْ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِيَتَهُمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ شُرُوطِ الْإِيمَانِ، وَنَفَى الْإِيمَانَ عَمَّنْ يُوَادُّهُم مِّنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، وَأَمَّا كَوْنُ ذَلِكَ مِنْ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَوْ لَوَازِمِهَا، فَلَمْ يُكَلِّفْنَا اللَّهُ بِالْبَحْثِ عَنْ ذَلِكَ، إِنَّمَا كَلَّفْنَا بِمَعْرِفَةِ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ ذَلِكَ وَأَوْجَبَهُ، وَأَوْجَبَ الْعَمَلَ بِهِ، فَهَذَا هُوَ الْفَرَضُ وَالْحَتْمُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَمَنْ عَرَفَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَعْنَاهَا، أَوْ مِنْ لَازِمِهَا فَهُوَ حَسَنٌ، وَزِيَادَةُ خَيْرٍ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَلَمْ يُكَلِّفْ بِمَعْرِفَتِهِ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْجِدَالُ وَالْمُنَازَعَةُ فِيهِ مِمَّا يُفْضِي إِلَى شَرٍّ وَاخْتِلَافٍ، وَوُقُوعِ فُرْقَةٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ قَامُوا بِوَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ، وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ، وَعَادُوا الْمُشْرِكِينَ، وَوَالُوا الْمُسْلِمِينَ". (١٩) أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَنُكْتَفِي بِهَذَا الْقَدْرِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَجْمَعَ كَلِمَتَنَا عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْحَلَقَةُ الثَّالِثَةُ: تَكْفِيرُ الْمُشْرِكِينَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَفِي هَذِهِ الْحَلَقَةِ نَبْدَأُ الْحَدِيثَ -بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى- عَنْ تَكْفِيرِ الْمُشْرِكِينَ.

وَسَتَكَلِّمُ فِي هَذِهِ الْحَلَقَةِ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ:

المُسْأَلَةُ الْأُولَى: سَنُجِيبُ فِيهَا عَلَى سُؤَالٍ: مَا هِيَ مَنْزِلَةُ التَّكْفِيرِ مِنَ الدِّينِ؟

المُسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: نَذْكُرُ فِيهَا الْعِلَّةَ أَوْ الْمُنَاطَ أَوْ السَّبَبَ فِي كُفْرِ الْمُتَوَقِّفِ فِي تَكْفِيرِ
الْمُشْرِكِينَ.

وَقَبْلَ الشُّرُوعِ فِي ذَلِكَ نَذْكُرُ بَعْضَ نُصُوصِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي كُفْرِ مَنْ لَمْ
يُكْفِرِ الْكَافِرَ...

قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْمَلْطِيُّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "جَمِيعُ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لَا اخْتِلَافَ
بَيْنَهُمْ أَنَّ مَنْ شَكَّ فِي كَافِرٍ فَهُوَ كَافِرٌ". (٢٠) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "نُكْفِرُ مَنْ لَمْ يُكْفِرْ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ مِلَّةِ
الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمِلَلِ، أَوْ وَقَفَ فِيهِمْ، أَوْ شَكَّ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، وَإِنْ أَظْهَرَ

تَفْرِيعُ سِلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْجِيَّةٍ

مَعَ ذَلِكَ الْإِسْلَامَ وَأَعْتَقَدَهُ وَأَعْتَقَدَ إِبْطَالَ كُلِّ مَذْهَبٍ سِوَاهُ، فَهُوَ كَافِرٌ بِإِظْهَارِهِ مَا أَظْهَرَ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ". (٢١) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَنْ لَمْ يُكْفِّرْ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ كَالنَّصَارَى، أَوْ شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، فَهُوَ كَافِرٌ". (٢٢)

وَنَصَّ الْحَجَّائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَنَّ مَنْ "لَمْ يُكْفِّرْ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ؛ كَالنَّصَارَى، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ... فَهُوَ كَافِرٌ". (٢٣) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَنَصَّ الْبُهَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى تَكْفِيرِ مَنْ "لَمْ يُكْفِّرْ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ كَأَهْلِ الْكِتَابِ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ". (٢٤)

وَقَالَ الشَّيْخُ الْمُجَدِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ كَفَرَ إِجْمَاعًا". ا.هـ (٢٥) أَنْتَهَى كَلَامُهُمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

(٢١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢٨٦).

(٢٢) روضة الطالبين (١٠/٧٠).

(٢٣) الإقناع (٤/٢٩٨) - بتصرف يسير -.

(٢٤) شرح منتهى الإرادات (٣/٣٩٥).

(٢٥) الدرر السنية (١٠/٩١).

تَفْرِيعُ سِلْسِلَةِ عِلْمِيَّةٍ فِي بَيَانِ مَسَائِلِ مَنْجِيَّةٍ

وَنَشْرَعُ الْآنَ فِي بَيَانِ الْمَسْأَلَةِ الْأُولَى: وَهِيَ الْإِجَابَةُ عَلَى سُؤَالٍ: مَا هِيَ مَنْزِلَةُ التَّكْفِيرِ مِنَ الدِّينِ؟

وَالْجَوَابُ هُوَ أَنَّ التَّكْفِيرَ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ مُحْضٌ، لَا مَدْخَلَ لِلْعَقْلِ فِيهِ، وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ مَسَائِلِ وَمَعَانِي أَصْلِ الدِّينِ، وَالتِّي سَبَقَ وَأَنْ بَيَّنَّا هَا فِي الْحَلَقَةِ السَّابِقَةِ.

إِذَنْ تَكْفِيرُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ وَلَيْسَ مِنْ أَصْلِ الدِّينِ.

طَيِّبْ مَا الْفَرْقُ؟

الْفَرْقُ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ أَصْلِ الدِّينِ فَإِنَّهُ لَا يُعْذَرُ الْمَرْءُ فِيهِ بِجَهْلٍ، وَلَا تُشْتَرَطُ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَى تَارِكِهِ أَوْ تَارِكِ بَعْضِهِ.

أَمَّا التَّكْفِيرُ فَهُوَ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ قَدْ يُعْذَرُ فِيهِ بِالْجَهْلِ وَالتَّأْوِيلِ.

ثُمَّ إِنَّ التَّكْفِيرَ لَيْسَ عَلَى مُسْتَوَى وَاحِدٍ، بَلْ لَهُ مَرَاتِبٌ، فَأَعْلَاهَا مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ؛ كَتَّكْفِيرٍ مَنْ كَفَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ عَلَى التَّعْيِينِ؛ كَابْلِيسَ وَفِرْعَوْنَ وَكُلَّ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ؛ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَعِبَادِ الْأَصْنَامِ.

وَأَدْنَاهَا مَا اخْتَلَفَ فِي تَكْفِيرِ مُرْتَكِبِهِ؛ كَتَارِكِ الصَّلَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبٌ مُتَفَاوِتَةٌ، وَهُوَ مَا سَوْفَ نَتَنَاوَلُهُ فِي حَلَقَةٍ قَادِمَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

قُلْنَا: إِنَّ التَّكْفِيرَ مِنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ، وَأَنَّهُ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ، وَلَيْسَ لَهُ مَوْرِدٌ سِوَى الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَا مَدْخَلَ لِلْعَقْلِ فِيهِ، وَقَدْ تَتَابَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى تَقْرِيرِ ذَلِكَ وَتَأْكِيدِهِ، وَإِلَيْكُمْ بَعْضُ أَقْوَالِهِمْ:

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحْمَةُ اللَّهِ: "فَصَلِّ فِي بَيَانِ مَا هُوَ مِنَ الْمَقَالَاتِ كُفْرٌ وَمَا يُتَوَقَّفُ أَوْ يُخْتَلَفُ فِيهِ، وَمَا لَيْسَ بِكُفْرٍ: أَعْلَمُ أَنَّ تَحْقِيقَ هَذَا الْفَصْلِ وَكَشْفَ اللَّبْسِ فِيهِ مَوْرِدُهُ الشَّرْعُ، وَلَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِيهِ". (٢٦) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو تَيْمِيَّةَ رَحْمَةُ اللَّهِ: "التَّكْفِيرُ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ، يَرْجَعُ إِلَى إِبَاحَةِ الْمَالِ، وَسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَالْحُكْمِ بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ، فَمَا خَذَهُ كَمَا خَذَ سَائِرِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ". (٢٧)

وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: "فَإِنَّ الْكُفْرَ وَالْفِسْقَ أَحْكَامٌ شَرْعِيَّةٌ، لَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي يَسْتَقِلُّ بِهَا الْعَقْلُ؛ فَالْكَافِرُ مَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَافِرًا، وَالْفَاسِقُ مَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَاسِقًا، كَمَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْمُسْلِمَ مَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مُؤْمِنًا وَمُسْلِمًا... إِلَى أَنْ قَالَ: - فَهَذِهِ الْمَسَائِلُ كُلُّهَا ثَابِتَةٌ بِالشَّرْعِ". (٢٨)

(٢٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢٨٢).

(٢٧) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص ٣٤٥).

(٢٨) منهاج السنة النبوية (٩٢/٥) بتصرف.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْإِيمَانُ وَالْكَفَرُ هُمَا مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي ثَبَتَتْ بِالرَّسَالَةِ،
وَبِالْأَدَلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، لَا بِمُجَرَّدِ الْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ".
(٢٩) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَقَالَ الْعَلَامَةُ أَبُو الْقِيَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:
الْكَفَرُ حَقٌّ لِلَّهِ ثُمَّ رَسُولُهُ بِالنَّصِّ يَثْبُتُ لَا بِقَوْلِ فَلَانٍ
مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَاكَ ذُو الْكُفْرَانِ

وَقَالَ أَبُو الْوَزِيرِ الصَّنْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَنَّ الدَّلِيلَ عَلَى الْكُفْرِ وَالْفِسْقِ لَا
يَكُونُ إِلَّا سَمْعِيًّا قَطْعِيًّا، وَلَا نِزَاعَ فِي ذَلِكَ". (٣٠) أَنْتَهَى كَلَامُهُ

وَعَلَيْهِ نَقُولُ: إِنْ مَنْ جَهِلَ حُكْمَ الشَّرْعِ فِي أَحَدِ الْكُفَّارِ أَوْ الْمُشْرِكِينَ أَوْ
إِحْدَى طَوَائِفِهِمْ: لَا يَكُونُ حُكْمُهُ كَحُكْمِ مَنْ أَشْرَكَ، لِأَنَّ الَّذِي أَشْرَكَ نَقَضَ
أَصْلَ الدِّينِ؛ كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْحَلَقَةِ السَّابِقَةِ، وَإِنَّمَا حُكْمُهُ كَحُكْمِ كُلِّ مَنْ جَهِلَ
شَرِيعَةً أَوْ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الرَّسَالِيَّةُ فِي
ذَلِكَ كَفَرَ، وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الْحُجَّةُ الرَّسَالِيَّةُ فِي ذَلِكَ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ، بِخِلَافِ مَنْ
جَهِلَ التَّوْحِيدَ؛ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الدِّينِ؛ فَإِنَّهُ كَافِرٌ كُفْرَ جَهِلٍ.

(٢٩) مجموع الفتاوى (٣/٣٢٨).

(٣٠) العواصم والقواصم (٤/١٧٩).

هَذَا وَقَدْ تَتَابَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى تَقْرِيرِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْجَهْلِ بِأَصْلِ الدِّينِ
وَالْجَهْلِ بِالْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ:

فَقَدْ نَقَلَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيُّ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ قَوْلَهُمْ:
"وَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ إِيْمَانًا وَالْجَهْلُ بِهِ كُفْرًا، وَكَانَ الْعَمَلُ بِالْفَرَائِضِ إِيْمَانًا
وَالْجَهْلُ بِهَا قَبْلَ نُزُولِهَا لَيْسَ بِكُفْرٍ ... - إِلَى أَنْ قَالُوا: - وَإِنَّمَا يَكْفُرُ مَنْ
جَحَدَهَا لِتَكْذِيبِهِ خَبَرَ اللَّهِ، وَلَوْ لَمْ يَأْتِ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ مَا كَانَ بِجَهْلِهَا كَافِرًا، وَبَعْدَ
مَجِيءِ الْخَبَرِ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ بِالْخَبَرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَكُنْ بِجَهْلِهَا كَافِرًا، وَالْجَهْلُ
بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ كُفْرٌ، قَبْلَ الْخَبَرِ وَبَعْدَ الْخَبَرِ". (٣١) أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَأَمَّا صِفَةُ قِيَامِ الْحُجَّةِ وَكَيْفِيَّةُ تَحْقِيقِ هَذَا الشَّرْطِ قَبْلَ التَّكْفِيرِ، فَإِنَّ ذَلِكَ
يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ ظُهُورِ الْمَسْأَلَةِ وَخَفَائِهَا، فَقَدْ تَقُومُ الْحُجَّةُ بِمُجَرَّدِ وُجُودِ
الْمُتَوَقِّفِ عَنِ التَّكْفِيرِ فِي مَظَنَّةِ الْعِلْمِ، بِحَيْثُ يَكُونُ بِتَوَقُّفِهِ مُعْرِضًا لَا جَاهِلًا،
وَبِحَيْثُ لَا يُعْذَرُ إِلَّا مَنْ كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِإِسْلَامٍ، أَوْ نَشَأَ فِي بَادِيَةِ بَعِيدَةٍ، وَقَدْ
تَكُونُ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ بِتَبْيِينِ النَّصِّ الشَّرْعِيِّ الدَّالِّ عَلَى كُفْرٍ مَنْ فَعَلَ كَذَا أَوْ قَالَ
كَذَا، وَلَا يُكْتَفَى بِمُجَرَّدِ الْبُلُوغِ الْعَامِّ لِلْقُرْآنِ، وَقَدْ تَكُونُ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ بِتَبْيِينِ
الدَّلِيلِ مَعَ إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ وَالْإِجَابَةِ عَنِ الدَّلِيلِ الْمُعَارِضِ، وَسَيَأْتِي مَزِيدُ تَوْضِيحٍ
لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ مَرَاتِبِ الْمُتَوَقِّفِينَ.

وَيُسْتَدَلُّ عَلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْجَهْلِ بِالشَّرَائِعِ وَالْجَهْلِ بِأَصْلِ الدِّينِ أَوْ عَلَى أَنَّ
تَكْفِيرَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الشَّرَائِعِ لَيْسَ مِنْ أَصْلِ الدِّينِ بَعْدَةً مِنَ الْأَدِلَّةِ، أَذْكَرُ مِنْهَا:

إِنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَدَّوْا أَقْوَامَهُمْ بِالدَّعْوَةِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَوْ أَنَّ الْجَهْلَ بِأَحْكَامِ التَّكْفِيرِ كُفِّرَ لَمَّا تَأَخَّرَ بَيَانُهَا عَنْ بَيَانِ أَصْلِ الدِّينِ لِحُظَّةٍ وَاحِدَةٍ.

وَمِنَ الْأَدَلَّةِ أَيْضًا عَلَى التَّفْرِيقِ أَنَّ التَّكْفِيرَ مِنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ وَأَنَّهُ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ وَلَيْسَ مِنْ أَصْلِ الدِّينِ مَا ثَبَتَ أَنَّ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَنْ تَوَقَّفَ فِي تَكْفِيرِ قَوْمٍ وَقَعُوا فِي الرَّدَّةِ، وَسَمَّوْهُمْ مُسْلِمِينَ، وَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَاتُ الَّتِي بَيَّنَّتْ كُفْرَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَمْ يُسْتَتَابُوا مِنْ تَوَقُّفِهِمْ، يَبْنَى ثَبَتُ أَنَّ أَحَدَ الصَّحَابَةِ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ جَاهِلًا، وَمَعَ ذَلِكَ كَفَرَهُ الصَّحَابَةُ، وَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِتَجْدِيدِ إِسْلَامِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ مَنْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ جَاهِلًا، وَبَيْنَ مَنْ جَهِلَ الشَّرَائِعَ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَسْلَمُوا، وَكَانُوا يَسْتَخْفُونَ بِالْإِسْلَامِ، فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ مَعَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَصِيبَ بَعْضُهُمْ وَقُتِلَ بَعْضٌ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: "كَانَ أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ وَأُكْرِهُوا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ"، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُلَكِيَّةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَدَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١٧﴾ [النساء: ٩٧]، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيَّ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَأَنَّهُ لَا عُذْرَ لَهُمْ، قَالَ: فَخَرَجُوا فَلِحَقِّهِمُ الْمُشْرِكُونَ

فَأَعْطَوْهُمْ الْفِتْنَةَ، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾
[العنكبوت: ١٠] الْآيَةُ". (٣٢)

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: "فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَبَيَّنَ فِيهَا حُكْمَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ مَعَ تَكَلُّمِهِمْ بِالْإِسْلَامِ". (٣٣) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا نَذْكُرُ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ، وَأَنَا حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَحَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ لِي أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: بِشَسِّ مَا قُلْتَ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبِرْهُ؛ فَإِنَّا لَا نَرَاكَ إِلَّا قَدْ كَفَرْتَ، فَلَقِيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَتَعَوَّذُ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَاتَّقِلْ عَنْ شِمَالِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَا تَعُدُّ لَهُ». (٣٤)

وَقَالَ أَبُو الْوَزِيرِ الصَّنَعَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: "وَهَذَا أَمْرٌ بِتَجْدِيدِ الْإِسْلَامِ". (٣٥) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَقَالَ أَبُو الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَمَنْ قَالَ فِي الْإِسْلَامِ فِي يَمِينِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى مُؤَكِّدًا لِيَمِينِهِ بِذَلِكَ عَلَى مَعْنَى التَّعْظِيمِ فِيهِ: كَافِرٌ حَقِيقَةً". ١. هـ (٣٦)

(٣٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠٢/٩) بسند صحيح.

(٣٣) الدرر السنية (٢٤١/١٠).

(٣٤) رواه النسائي في سننه (٣٧٧٦/٧/٧) بسند جيد.

(٣٥) إثبات الحق على الخلق (ص ٣٨٠).

(٣٦) عارضة الأحوذى (٢٨/١).

وَقَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَخَذَ بِهِ -يَعْنِي حَدِيثَ سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَقَالُوا يَكْفُرُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ كُفْرَ شُرْكَ، قَالُوا: وَلِهَذَا أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِتَجْدِيدِ إِسْلَامِهِ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كُفْرٌ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ لَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَقَالَ الْجُمْهُورُ: لَا يَكْفُرُ كُفْرًا يَنْقُلُهُ عَنِ الْمِلَّةِ، لَكِنَّهُ مِنَ الشُّرْكِ الْأَصْغَرِ". (٣٧) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

فَلَمْ يُعْذَرْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ حَدِيثٌ عَهْدٌ بِجَاهِلِيَّةٍ..

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ أَيْضًا عَلَى التَّفْرِيقِ أَنَّ التَّكْفِيرَ مِنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ، وَأَنَّهُ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ وَلَيْسَ مِنْ أَصْلِ الدِّينِ الَّذِي لَا يُعْذَرُ فِيهِ أَحَدٌ: مَا رُوِيَ أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اخْتَلَفُوا فِي تَكْفِيرِ بَعْضِ الْمُرْتَدِّينَ، فَلَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى كُفْرَهُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَمْ يُأْمَرْ مَنْ تَوَقَّفَ فِيهِمْ بِتَجْدِيدِ إِسْلَامِهِ.

فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (٨٨) [النساء: ٨٨].

وَصَحَّ فِي سَبَبِ نَزْوِهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى أَحَدٍ، فَرَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ فِرْقَتَيْنِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: "نَقْتُلُهُمْ"، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: "لَا". (٣٨)

(٣٧) تيسير العزيز الحميد (ص ٥٢٩).

(٣٨) متفق عليه، صحيح البخاري (١٠٥/٢)، صحيح مسلم (٧٨١/٥/٢).

وَصَحَّ عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ قَالَ: "قَوْمٌ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ حَتَّى أَتَوْا الْمَدِينَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُهَاجِرُونَ، ثُمَّ ارْتَدُّوا بَعْدَ ذَلِكَ، فَاسْتَأْذَنُوا النَّبِيَّ ﷺ إِلَى مَكَّةَ؛ لِيَأْتُوا بِبَضَائِعَ هُمْ يَتَّجِرُونَ فِيهَا، فَأَخْتَلَفَ فِيهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: "هُمْ مُنَافِقُونَ"، وَقَائِلٌ يَقُولُ: "هُمْ مُؤْمِنُونَ"، فَبَيَّنَ اللَّهُ نِفَاقَهُمْ، فَأَمَرَ بِقَتَالِهِمْ". (٣٩)

وَقَدْ رُوِيَ بِهَذَا الْمَعْنَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَأَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَصَحَّ بِنَحْوِهِ مُرْسَلًا عَنْ عِدَّةٍ مِنَ التَّابِعِينَ وَهُمْ: عِكْرِمَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَقَتَادَةُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨]، قَالَ: "يَعْنِي بِذَلِكَ: وَاللَّهُ رَدَّهُمْ إِلَى أَحْكَامِ أَهْلِ الشُّرْكِ فِي إِبَاحَةِ دِمَائِهِمْ، وَسَبْيِ ذُرَارِيِّهِمْ". (٤٠) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَقَدْ رَجَّحَ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ، حَيْثُ قَالَ بَعْدَ مَا ذَكَرَ أَقْوَالَ السَّلَفِ فِي سَبَبِ نُزُولِهَا: "وَأَوَّلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي اخْتِلَافِ أَصْحَابِ

(٣٩) رواه الطبري في تفسيره (١٠٠٥٢/٩/٨) بسند صحيح.

(٤٠) تفسير الطبري (٧/٨).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْمٍ كَانُوا أُرْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ". (٤١) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "هُم قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ؛ فَخَرَجُوا مِنْهَا إِلَى مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْيَمَامَةِ تُجَارًا فَأُرْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَأَظْهَرُوا مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الشَّرِكِ، فَلَقِيَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، فَكَانُوا فِيهِمْ فِتْنَتَيْنِ؛ أَيْ فِرْقَتَيْنِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ حَلَّتْ دِمَاؤُهُمْ؛ هُمْ مُشْرِكُونَ مُرْتَدُّونَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ تَحِلَّ دِمَاؤُهُمْ؛ هُمْ قَوْمٌ عَرَضَتْ لَهُمْ فِتْنَةٌ، فَقَالَ اللَّهُ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ﴾". (٤٢) أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ أَيْضًا: مَا رَجَّحَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَوَقَّفَ فِي تَكْفِيرِ مَانِعِي الزَّكَاةِ فِي بَادِي أَمْرِهِمْ، وَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُفْرَهُمْ وَافَقَهُ، وَلَمْ يَسْتَبِئْهُ عَلَى تَوَقُّفِهِ فِيهِمْ.

فَقَدْ صَحَّ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ الْمُرْتَدِّينَ: "كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»". (٤٣)

(٤١) تفسير الطبري (١٣/٨).

(٤٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣٩٣/١).

(٤٣) متفق عليه، صحيح البخاري (١٨٨٤/٢٢/٣)، صحيح مسلم (٧١٣٢/١٢١/٨).

وَقَدْ تَوَقَّفَ بَعْضُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ - فِي بَادِي الْأَمْرِ - كُفْرَ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَهِلَ كُفْرَ الْجَهْمِيَّةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ شِدَّتِهِ، فَلَمْ يَكُونُوا بِذَلِكَ كُفَّارًا، وَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمُ الدَّلِيلُ عَلَى كُفْرِهِمْ لَمْ يَتَوَقَّفُوا فِيهِمْ، وَلَمْ يُجَدِّدُوا إِسْلَامَهُمْ لِأَجْلِ مَا سَبَقَ مِنْ تَوَقُّفِهِمْ.

فَعَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الدَّورَقِيِّ، قَالَ: "سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَمَّنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَقَالَ: "كُنْتُ لَا أَكْفُرُهُمْ حَتَّى قَرَأْتُ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿وَلَمَّا أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦]". (٤٤)

وَعَنْ أَبِي عَمَّارٍ الْمُوصِلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: "يَقُولُ لِي ابْنُ الْمَدِينِيِّ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكْفِرَهُمْ؟! - يَعْنِي: الْجَهْمِيَّةَ - قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا أَوَّلًا أَمْتَنِعُ أَنْ أَكْفُرَهُمْ حَتَّى قَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ مَا قَالَ، فَلَمَّا أَجَابَ إِلَى الْمِحْنَةِ، كَتَبْتُ إِلَيْهِ كِتَابًا أَذْكُرُهُ اللَّهَ، وَأَذْكُرُهُ مَا قَالَ لِي فِي تَكْفِيرِهِمْ". (٤٥)

وَبِذَلِكَ نَكُونُ قَدْ أَنْتَهَيْنَا مِنَ الْمَسْأَلَةِ الْأُولَى...

(٤٤) نقله ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٤١٤/١) عن كتاب الخلاص، وإسناده جيد.

(٤٥) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤٢١/١٣) بسند صحيح.

وَنَشْرَعُ الْآنَ فِي بَيَانِ الْمَسْأَلَةِ الثَّانِيَةِ: وَهِيَ مَا هُوَ الْمَنَاطُ أَوِ الْعِلَّةُ أَوِ السَّبَبُ فِي كُفْرِ الْمُتَوَقِّفِ فِي تَكْفِيرِ الْمُشْرِكِينَ.

الْجَوَابُ: هُوَ تَكْذِيبُ الشَّرَائِعِ وَرَدُّهَا.

فَبِالنَّظَرِ إِلَى نُصُوصِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذَا النَّاقِضِ يَظْهَرُ جَلِيًّا مَا قَرَّرُوهُ مِنْ أَنَّ مَنَاطَ الْكُفْرِ فِي الْمُتَوَقِّفِ فِي الْكَافِرِ يَرْجِعُ إِلَى تَكْذِيبِ الشَّرَائِعِ وَرَدُّهَا، لَا مِنْ جِهَةِ اتِّقَاضِ أَصْلِ الدِّينِ.

وَقَدْ تَتَابَعَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى ذِكْرِ هَذَا الْمَنَاطِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْكُفْرَ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِنْكَارِ الْأَحْكَامِ الْمُتَوَاتِرَةِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا، أَوْ بِإِنْكَارِ الْمَعْلُومِ مِنَ الدِّينِ ضُرُورَةً.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالْكَفْرُ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِنْكَارِ مَا عُلِمَ مِنَ الدِّينِ ضُرُورَةً، أَوْ بِإِنْكَارِ الْأَحْكَامِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْمُجْمَعِ عَلَيْهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ".
١. هـ (٤٦)

* وَإِلَيْكُمْ بَعْضُ مَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ نَصُّوا عَلَى مَنَاطِ كُفْرِ الْمُتَوَقِّفِ فِي الْكَافِرِ:

فَقَدْ عَلَّلَ الْقَاضِي عِيَّاضُ تَكْفِيرِ الْمُتَوَقِّفِ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَمَنْ فَارَقَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِمَا نَقَلَهُ عَنِ الْبَاقِلَانِيِّ، قَالَ: "لِأَنَّ التَّوْقِيفَ وَالْإِجْمَاعَ اتَّفَقَا عَلَى

كُفْرِهِمْ، فَمَنْ وَقَفَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ كَذَّبَ النَّصَّ وَالتَّوْقِيفَ، أَوْ شَكَّ فِيهِ، وَالتَّكْذِيبُ أَوْ الشَّكُّ فِيهِ لَا يَقَعُ إِلَّا مِنْ كَافِرٍ". (٤٧) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَقَالَ ابْنُ الْوَزِيرِ الصَّنْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَكْفِيرِ الشَّاكِّ فِي عَابِدِ الصَّنَمِ وَمَنْ لَمْ يُكْفِرْهُ: "وَلَا عِلَّةَ لِذَلِكَ إِلَّا أَنْ كُفِرَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ ضُرُورَةً". (٤٨) أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَعَلَّلَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَكْفِيرَ مَنْ قَالَ: (أَنَّ مَنْ شَهِدَ الشَّهَادَتَيْنِ لَا يَجُوزُ تَكْفِيرُهُ وَلَوْ عَبْدَ غَيْرِ اللَّهِ)، فَقَالَ: "لِأَنَّ قَائِلَ هَذَا الْقَوْلِ مُكَذِّبٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ". (٤٩) أَنْتَهَى كَلَامُهُ

وَقَالَ بَعْضُ أَئِمَّةِ الدَّعْوَةِ النَّجْدِيَّةِ: "فَإِنَّ الَّذِي لَا يُكْفِّرُ الْمُشْرِكِينَ غَيْرُ مُصَدِّقٍ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ كَفَرَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَرَ بِتَكْفِيرِهِمْ، وَعَدَاوَتِهِمْ وَقِتْلِهِمْ". (٥٠) أَنْتَهَى كَلَامُهُمْ.

وَنُكْتَفِي بِهَذَا الْقَدْرِ، وَإِلَى لِقَاءِ آخَرٍ فِي حَلَقَةٍ قَادِمَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى...

وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْعُونَ وَالتَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا...

(٤٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢٨٠).

(٤٨) الروض الباسم (٢/٥٠٩).

(٤٩) الدرر السنية (١٠/٢٥٠).

(٥٠) الدرر السنية (٩/٢٩١).